بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

إليكم قصةً عجيبةً عظيمة فيها عبرة وعظة؛ إنها قصة امرأة من أهل الجنة: روى البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[1] عن عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ قُلْتُ بَلَى، قَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ؛ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ، فَقَالَتْ أَصْبِرُ، فَقَالَتْ إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ فَدَعَا لَهَا».

لنتأمل في قصة هذه المرأة العظيمة؛ فهذه المرأة معها إيمانٌ وصدق، ونقاء وصفاء، ودين وحياء، وبها هذه الشدة والبلاء ألا وهو ما أصابها من صرْع فكان يؤرِّقها ويقلقها، ويؤذيها ويضجُرها، فجاءت طالبةً من النبي – عليه الصلاة والسلام – أن يدعو الله لها أن يكشف ما بها من ضر وأن يرفع عنها ما أصابها من بلاء، فأرشدها – عليه الصلاة والسلام – إلى ما هو أعظم لها من ذلك ألا وهو أن تصبر على الشدة والبلاء واللأواء وتكون العاقبة الجنة، فاختارت حسن العاقبة وجميل المآل وأن تكون من أهل الجنة بضمانة رسول الله ﷺ إن صبرت؛ فاختارت – رضي الله عنها – الصبر إلا أنه بقي يؤرقها ما كان يصيبها من تكشف بعض عورتها وظهور بعض أعضاء جسمها حال صَرْعِها؛ مع أنها معذورة في هذه الحال لمرضها فليست مختارةً لذلك ولا قابلةً له ولا راضيةً به، ومع ذلك شدة حيائها وقوة إيمانها

(١): البخاري (٥٦٥٢) ومسلم (٢٥٧٦)

ونقاء قلبها وحسن زكائها جعلها تقلق أشد القلق من هذا الانكشاف فاختارت الصبر – رضي الله عنها– ولها الجنة إلا أنها قالت «إِنِّي أَتَكَشَّفُ» أي أن هذا أمر لا أتمكن من الصبر عليه وإن كان واقعًا عن غير اختيارٍ مني، فدعا لها رسول الله ﷺ فكانت بعد ذلك تصرع ولا تتكشف بدعوة النبي عليه الصلاة والسلام.

إن قصة هذه المرأة قصة عظيمة تُروى في مكارم الأخلاق وجميل الصفات ومحاسن القيَم وجمال الحياء ونقاء القلب وصفائه، نعم!! قالت: «– يا رسول الله – إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي أَنْ لا أَتَكَشَّفَ» فكان هذا التكشف الذي يقع عن غير طوعٍ واختيار، وعلى وضعٍ لا ملامة عليه فيه كان تكشفًا يؤرقها ويقلقها.

فإذا كانت هذه حالها – وما أكرمها من حال وما أعظمه من وصف– فكيف الحال بامرأة تتكشف مبديةً محاسنها مظهِرةً مفاتنها مبرزةً جمالها مع طوعها واختيارها غير مبالية ولا مكترثة لا بحياء ولا إيمان!! تسمع آيات الله وتسمع أحاديث رسول الله ﷺ وتسمع ما في التبرج والسفور من وعيدٍ وتهديد فلا تبالي بشيء من ذلك ولا تكترث.

إن هذه المرأة التي هي من أهل الجنة كان تكشفها بسبب الصرْع وكانت تكره ذلك التكشف أشد الكراهة، لكن ما يقع في عدد من النساء من تكشف وتبرج وسفور سببه صرع من نوع آخر أصبن به ولا يعذرن فيه؛ إنه صرع الشهوات بسبب ضعف الإيمان وقلة الدين وذهاب الحياء؛ بأن يكون الإنسان صريع شهواته وصريع تتبع ملذاته فيكون بهذا الصرع ليس مباليًا ولا مكترثًا بما يفعله أهو من رضا الله سبحانه وتعالى أم من سخطه ؟

وقد عظم هذا النوع من الصرع في هذا الزمن بسبب كثرة الفتن وتنوع دواعي الشهوات وبروز أصناف المغريات في حياة الناس في هذا الزمن وما استجدَّ فيه من وسائل حديثة كثير منها تؤجِّج الفتن وتثير في النفوس الشهوات من خلال قنوات آثمة ومواقع موبوءة لا هدف لها ولا غاية إلا إيقاع الناس في صرع الشهوات وأن يكونوا طريحي الملذات فعظُم البلاء واشتد الخطب.

وقد تحدَّث الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه العظيم زاد المعاد عن هذا النوع من الصرع وعن حال الناس معه وما أصاب كثيرا من الناس بسبب ذلك من فتنٍ وعواصف شديدة تعصف بالإيمان واليقين وتزلزل الأخلاق والحياء ذاكرا حال الناس في زمانه فكيف به لو رأى حال الناس في أزمان متأخرة مع فتن متكاثرة !! يقول – رحمه الله تعالى –: «وأكثرُ تسلطِ الأرواح الخبيثةِ على أهلِهِ تكون من جهة قِلَّةِ دينِهم وخرابِ قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذِّكرِ والتعاويذِ والتحصُّناتِ النبوية والإيمانيَّة فَتَلْقَى الروحُ الخبيثةُ الرجلَ أعزلَ لا سلاح معه وربما كان عُريانًا فيُؤثر فيه هذا، ولو كُشِفَ الغِطاء، لرأيتَ أكثرَ النفوسِ البَشَرية صَرْعَى هذه الأرواحِ الخبيثةِ، وهى فى أسرِها وقبضتِها تسوقُها حيثُ شاءتْ، ولا يُمكنُها الامتناعُ عنها ولا مخالفتها وبها الصَّرْعُ الأعظمُ الذى لا يُفيقُ صاحبُه إلا عند المفارقةِ والمعاينةِ، فهناك يتَحقَّقُ أنه كان هو المصروعَ حقيقةً، وبالله المستعان.

وعلاجُ هذا الصَّرْع باقتران العقل الصحيح إلى الإيمان بما جاءتْ به الرُّسُل، وأن تكون الجنَّةُ والنارُ نُصبَ عينيه وقِبلَة قَلْبِه، ويستحضر أهلَ الدنيا، وحلول المَثُولاتِ والآفات بهم، ووقوعَها خلال ديارهم كمواقع القَطْر، وهُم صَرعَى لا يُفيقون، وما أشدَّ داءَ هذا الصَّرْعِ،

ولكن لما عَمَّتِ البليَّةُ به بحيثُ لا يرى إلا مصروعًا، لم يَصرْ مستغرَبًا ولا مستنكراً، بل صار لكثرة المصروعين عَيْنَ المستنكَرِ المستغرَبِ خلافه.

فإذا أراد الله بعبدٍ خيراً أفاقَ من هذه الصَّرْعة، ونظر إلى أبناء الدنيا مصروعين حولَه يمينًا وشمالاً على اختلافِ طبقاتهم، فمنهم مَن أطبَقَ به الجنونُ، ومنهم مَن يُفيق أحيانًا قليلةً، ويعودُ إلى جنونه، ومنهم مَن يُفيق مرةً، ويُجَنُّ أُخرى، فإذا أفاق عَمِل عَمَل أهلِ الإفاقةِ والعقل، ثم يُعَاوِدُه الصَّرْعُ فيقعُ في التخبط»[٢].

يقول ذلك رحمه الله ولم يرَ دواعي الفتن وما استجدّ على الناس في مثل هذا الزمان مما يعصف بالإيمان ويخلخل الأخلاق ويُذهب المروءة والحياء، ومن لم يأخذ نفسه بزمام الشرع ويزمَّها بزمام هدي نبينا عليه الصلاة والسلام كان من صرعى هذه الآفات وقتلى هذه الفتن وطريحي هذه الشهوات.

أيتها المرأة المؤمنة: تأملي في حياة هذه المرأة السوداء المرأة صادقة الإيمان عظيمة الحياء وهي تخاطب النبي -عليه الصلاة والسلام- صابرةً على الشدة واللأواء قائلة: «إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي أَنْ لا أَتَكَشَّفَ» إذا كانت هذه حالها خوفًا من التكشف فكيف حالك أنت أيتها المؤمنة ؟!

إن بعض النساء ابتلين في هذا الزمان بانهزامية عظيمة وتحوّل شنيع، بسبب انبهار بحضارات زائفة وتقدم قاتل، فأصبحت المرأة لا تقلد من هي معجبة بحضارتها إلا بتوافه الأمور وخسيس الأشياء وحقير الأخلاق، فجنت على نفسها أعظم جناية وجرَّت على إيمانها

(٢): زاد المعاد (٤/ ٦٣)

أعظم بلاء.

ألا فلتتق الله كل أَمَةٍ مسلمة وكل امرأة مؤمنة ولتتذكر وقوفها بين يدي الله، وأن الله رب العالمين سائلها يوم القيامة عن حيائها وعن سترها وعن حشمتها وعن كل ما جاء في كتاب ربها وسنة نبيها -صلوات الله وسلامه عليه-.

ولما أصيب بعض النساء بهذا النوع من الصرْع - صرع الشهوات- فأصبحن طَريحاتٍ لهذا الصرع جنى عليهن أنواعًا من الجنايات؛ ولهذا يُرى في كثيرٍ من بلدان المسلمين وديار أهل الإيمان في أنحاءٍ كثيرة تكشفٌ و تبرجٌ وسفور لا يُعرف إطلاقًا في تاريخ حياة المرأة المسلمة بدءً من الصحابيات الكريمات ومن اتبعهن بإحسان من نساء الإيمان وأهل الصدق والعفة والحياء، فأصبح هؤلاء النساء الصريعات لا يبالين بكشف المحاسن وإبراز المفاتن؛ فتلك تكشف صدرها، وأخرى تبدي نحرها، وثالثةٌ تحل عن شعرها، وأخرى تبدي ساقها وفخِذها، إلى أنواع من التكشف والسفور والتبرج من غير وازعِ إيمان، ومن غير حياءٍ ولا خشيةٍ للرحمن.

أتَذَكَّرَ هؤلاء النساء البعث والوقوف بين يدي الله ؟! ثم الحساب والعقاب على كل منكرٍ اقترفته وكل فعلٍ شنيع ارتكبته ؟!

فما الذي غرَّها في إيمانها؟ وما الذي غرَّها في حيائها ؟! وما الذي جعلها تنحط إلى هذا السفول وتقع في هذا الدرْك من الانحطاط ؟!

ألا فلتتدارك المرأة نفسها ولتنقذ حالها من هذا الصرْع مستعينةً بربها سائلةً سيدها ومولاها جل شأنه أن يمنّ علها بالعفاف وأن يرزقها الحشمة والستر، ثم تكون آخذةً بمأخذ الحزم والعزم صيانةً لنفسها ورعايةً لحيائها ومحافظةً على إيمانها؛ والتوفيق بيد الله وحده.

قصة امرأة من أهل الجنة

إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

دار المحجة

شارك في الدعوة إلى الله بنشر هذه المطوية لتكون لك حسنة جارية